Find us on Facebook
مجلة الفرقان القرآنية الأردنية

الفرقان

مجلة شهرية تصدر عن جمعية المحافظة على القرآن الكريم
الأردن - السنة الخامسة عشرة - جمادى الأولى ١٤٣٥هـ - آذار ٢٠١٤م
العدد 145

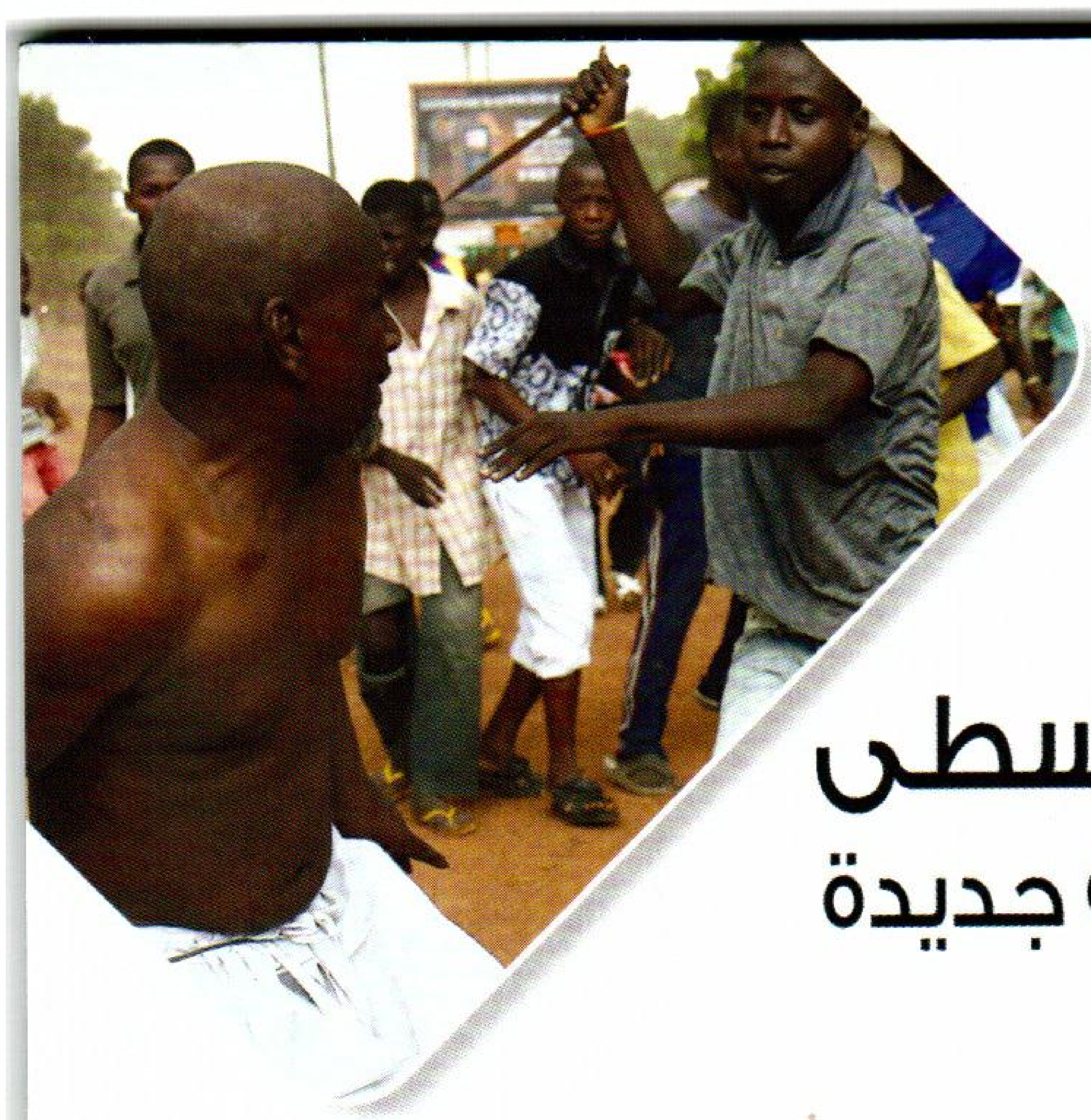

أفريقيا الوسطى
مأساة إسلامية جديدة

الربيع العربي.. واقع ومستقبل

- الإسلام والتقدم الأخلاقي
أ.د. طه عبد الرحمن

- الإعجاز الخبري في القرآن
د. رشيد كهوس

- التمكين بين الحقيقة والوهم
أ. جاسم سلطان

«الفرقان» تلتقي الدكتور ماجد عرسان الكيلاني، مؤلف كتاب «هكذا ظهر جيل صلاح الدين»

البنك الإسلامي الأردني ... رائد العمل المصرفي الإسلامي في الأردن

الفرقان

مجلة شهرية تصدر عن جمعية المحافظة على القرآن الكريم - الأردن

145

جمادى الأولى 1435هـ - آذار 2014م

إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه	أ . د. محمد المجالي	4
الإعجاز الخبري في القرآن الكريم	د. رشيدكهوس	6
من قوانين النصر في القرآن	حسن فاضلي	8
وقف جبريل عليه السلام	حذيفة الخالدي	10
الإسلام والتقدم الأخلاقي	أ . د. طه عبد الرحمن	12
رحيل الدكتور عبد الكريم زيدان		14
الوزغ (أبو بريص)	أسامة مطير	15
لقاء مع الدكتور ماجد عرسان الكيلاني	مجاهد نوفل وحمزة حيمور	16
لقاء مع الدكتور أسامة أبو رشيد حول الربيع العربي	حمزة حيمور	20
رؤية أخرى لأحداث أفريقيا الوسطى	د. خالد العجيمي	23
أعظم وقائع الإسلام	د. محمد سليمان الخطيب	25
ذكاء المسلم وإيجابيته	د. أمجد قورشة	25
بين عبادة الله ورضى الناس	آلاء الرشيد	30
التمكين بين الحقيقة والوهم	جاسم سلطان	32
لن نحتفل بالمرأة إلا إذا..	نوال العيد	44
صناعة الوليّ المرشد	د. سليمان الدقور	48

هيئة المجلة

المشرف العام
أ.د. محمد خازر المجالي

المدير المسؤول / رئيس التحرير
د. سليمان محمد الدقور

مدير التحرير
أ.أحمد طاهر أبو عمر

مستشارون
أ.د.أحمد خالد شكري
د.منذر عرفات زيتون
د.تيسير الفتياني
د.أحمد داود شحروري
د.إبراهيم أبو عرقوب
أ.حسن محمد علي
أ.أدهم سرحان

محررون
مجاهد أحمد نوفل
حمزة عبد الحليم حيمور
رنا عادل إبراهيم
آلاء "محمد رشيد" الرشيد

المستشار القانوني
المحامي منير فتحي مرعي

مراسلون
د. رشيد كهوس / المغرب
محمد شلال الحناحنة/ السعودية
زكي شلطف الطريفي/ البلقان
رائد حسني داود/ إيطاليا

تصميم وإخراج
دار الفن للتصميم
www.darfan.com
خطوط يعقوب
0795802037

المراسلات والإعلانات

ص.ب ٩٢٥٨٩٤ - الرمز البريدي ١١١٩٠
عمان - الأردن
هاتف ٠٠٩٦٢٦٤٦٢٨٣٣٤
فاكس ٠٠٩٦٢٦٤٦٢٨٣٣٦
للتحويل البنكي : رقم الحساب ٢٣٨٠١
البنك الإسلامي الأردني / جبل الحسين

الموقع على الإنترنت : www.hoffaz.org
البريد الإلكتروني : forqan@hoffaz.org

المراسلات باسم المدير المسؤول / رئيس التحرير

الاشتراكات (12 عدداً)

داخل الأردن

(٢٠) ديناراً للأفراد
(٢٥) ديناراً للمؤسسات
شاملة أجور البريد

خارج الأردن

(٥٠) دولاراً أمريكيّاً أو ما يعادلها للدول العربية
(٦٥) دولاراً أمريكيّاًأو ما يعادلها لباقي دول العالم

سعر بيع المجلة في الأردن: دينار واحد

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (٢٠٠٦/٣١١٠/د)

الآراء المنشورة في المجلة تعبر عن وجهات نظر أصحابها ولا تعبر عن رأي المجلة بالضرورة

الإعجاز الخبري في القرآن الكريم

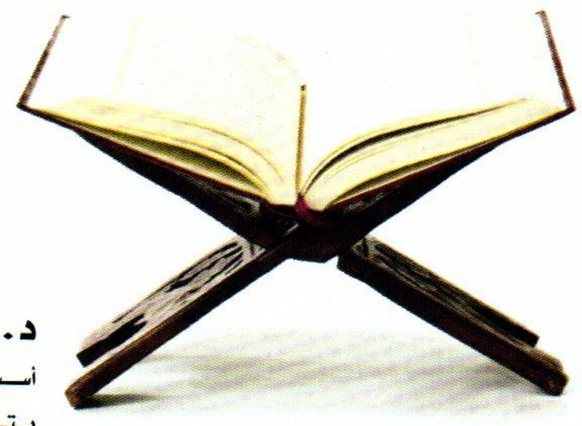

د. رشيد كهوس
أستاذ بكلية أصول الدين
بتطوان- جامعة القرويين / المغرب

تتضمن عدد من آيات القرآن تنبّؤات مستقبليّة هي أشبه بالسنن الكونية، بحيث يصدق وعدها كلما تحقّقت الشروط المؤدية لنتائجها

نقصد بالإعجاز الخبري: «ما أخبر به القرآن الكريم من سُنن إلهية وقوانين ربانية ثابتة ومطّردة». وتشمل هذه السنن: السنن(١) الكونية والتاريخية والإنسانية والاجتماعية. وبعبارة أخرى هو: «تلك الآيات القرآنية الراصدة لسُنن الله تعالى في الآفاق والأنفس».

ولذلك، فإنّ القرآن الكريم يشتمل على بيان كثير من آيات الله تعالى في جميع أنواع المخلوقات من الجماد والنبات والحيوان والإنسان، ويصف خلق السماوات وشمسها وقمرها ودراريها ونجومها والأرض والهواء والسحاب والماء من بحار وأنهار وعيون وينابيع، وفيه تفصيل لكثير من أخبار الأمم، وبيان لطريق التشريع السويّ للأمم، وقد حفظ ذلك كله فيه بكلمه وحروفه منذ خمسة عشر قرناً، ثم عجزت هذه القرون التي ارتقت فيها جميع العلوم والفنون أن تنقض بناء آية من آياته، أو تبطل حكماً من أحكامه، أو تكذّب خبراً من أخباره، وهي التي جعلت فلسفة اليونان دكّاً، ونسخت شرائع الأمم نسخاً، وتركت سائر علوم الأوائل قاعاً صفصفاً، ووضعت لأخبار التاريخ قواعد فلسفية، ورجعت في تحقيقها إلى ما عثر عليه المنقّبون من الآثار العادية، وحكمت فيها أصول العمران، وما يسمّونه سنن الاجتماع، بحيث لم تُبقِ لعلماء الأوائل كتاباً غير مدعثر الأعضاد ساقط العماد.

إنّ القرآن الكريم كتاب مشتمل على كثير من أمور العالم الكونية والاجتماعية والإنسانية، مرّت العصور وتقلّبت أحوال البشر في العلوم والأعمال ولم يظهر فيه خطأ قطعي في شيء منها، لهذا صحّ أن تجعل سلامته من هذا الخطأ ضرباً من ضروب إعجازه للبشر، وإن لم يكن هذا مما تحدّى له الرسول ﷺ من عجز البشر عن مثله؛ لأنه لم يكن ليظهر إلا من بعده، فادّخر ليكون حجة على أهله(٢).

لكن يبدو أنّ القدماء والمحدثين على حدٍّ سواء قد انصبّ اهتمامهم في مسألة الإعجاز الخبري على جانب الأحداث المحددة؛ إما التي حدثت في الماضي الغابر، وإما تلك التي أنبأنا عن حدوثها في المستقبل فتحقّقت، مثل حادثة الروم، وغزوة بدر الكبرى، والفتح الأعظم لمكة المكرمة، وما أشبه ذلك، ولكنهم غفلوا عن نمط خاص من الغيوب، وهي تلك السنن والقوانين التي يصوغها القرآن الكريم دائماً بصيغ شرطية تبين أنّ حدوث نوع من المقدمات يستلزم نوعاً من النتائج تتوافق مع تلك المقدمات وترتبط بها ارتباط العلة بالمعلول، وكذلك كل ما ورد بصيغ مختلفة تبرز السنن وتلفت الأنظار إليها، ومنها قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} [محمد:٧]، وقوله سبحانه: {مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ} [غافر:٤٠]، وقوله جلّ ثناؤه: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ} [الزلزلة:٧-٨]، وقوله تقدّست كلماته: {قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ} [الأنعام:١٠٤]، وقوله جلّت عظمته: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ} [يونس:١٠٨].

إنّ مثل هذه الآيات تحمل في طيّاتها تنبّؤات مستقبليّة هي أشبه بالسنن الكونية، بحيث يصدق وعدها كلما تحقّقت الشروط المؤدية لتلك النتائج. ولم يحدث طوال خمسة عشر قرناً التي عاشها الإسلام فوق الأرض أن تأخّر قانون من هذه القوانين عن موعده، ولكن الأمر يحتاج إلى علماء خبراء لهم القدرة على تتبُّع الظواهر الاجتماعية أو الأخلاقية أو التاريخية أو الاقتصادية أو الكونية التي يتحدث عنها نصٌّ من النصوص(٣).

وهذا ما انتبه إليه رشيد رضا -رحمه الله- في تفسيره لما قال: «لم يُعهَد -أي الإعجاز الخبري- في كتاب سماوي، ولعله أُرجئ إلى أن يبلغ الإنسان كمال استعداده الاجتماعي، فلم يرد إلا في القرآن، الذي ختم الله به الأديان»(٤).

وقال أيضاً: «لم يعرف كتاب قبل القرآن نطق بأنّ للأمم في قوّتها وضعفها وحياتها وموتها سُنناً ثابتة لا تتبدّل ولا تتحوّل»(٥).

وقال الشيخ عبد الله دراز -رحمه الله-: «أما ما نحن بصدده من تنبّؤات القرآن، فإننا نجد فيه حقائق قاطعة متقدمة بنفس قوة الوعد الإلهي، وتتعلق بوقائع من كل نوع، بعضها يتحقق بطريقة أبدية، والآخر في تاريخ محدّد، وغيرها يُستبعد نهائيّاً، وفي كل حالة تتحقّق هذه الوقائع كما هو مرسوم بكل دقة»(٦).

والحاصل أنّ نجاح الدراسات النفسية والاجتماعية يقوم على تكرار التجارب، وعلى الإحصاء الدقيق اللذين يسمحان باستنتاج قانون نفسي أو اجتماعي ما، يصبح بعد ذلك بمثابة تنبّؤ بحدوث أمر ما إذا توفّرت الشروط المؤدية إليه، كما يحدث -مثلاً- في تنبّؤات الأحوال الجوية، ولكن المسألة من وجهة نظر علمية تحتاج إلى خبير ومتخصص في كل ميدان على حدة ليتمكن من حصر الظاهرة في مجال معين يتحكم في قوانينها، وتحتاج فوق ذلك إلى استقرار، وإلى وسائل وأدوات، وإلى علم يعين على التسجيل المنظم لشروط حدوث الظاهرة، وبيان كيفية تفاعل تلك الشروط.

وهذا لم يكن ليتحقّق لأمّي عاش في وسط الأمّيين، بعيد عن الطرائق العلمية ووسائلها، بينما كانت القوانين والسنن التي تُساق في القرآن الكريم قوية الحجة والبيان، وصادقة العلم والبرهان، بحيث يقف العلم الحديث أو الباحث المتطلع إلى معرفة أسرار الكون والحياة، مبهوراً مبدوهاً أمام دقة ذلك القانون أو تلك السنن(٧).

ولا شك أنّ هذا الوجه من أظهر وجوه الإعجاز القرآني؛ والحق أن الله تبارك وتعالى أكّد هذه الحقيقة البلجاء التي تجعلنا نقف معجبين أمام هذا الإعجاز، وأشار إليها بقوله: {وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [الأنعام:١٠٥]؛ فالآية الكريمة تبين أنّ العملية كانت مقصودة، أي إنها تحمل دلالة التحدي العلمي والمنهجي الصارخ، بمعنى أنّ الدقة والعمق اللذين تطرح بهما هذه السنن والقوانين التي قد لا تستقيم بهذا المستوى حتى لكل عالم -على حدة- في ميدان تخصصه، لا يمكن أن تستقيم لرجل أمّي، لذلك ستنصرف العقول إلى التساؤل عن مصدر هذا العلم الخارق للعادة؛ إذ كيف تستقيم لشخص واحد بشكل معجز لم يسبق أو يلحق بمثله؟ ولهذا يجد المجادِل لإعجاز القرآن نفسَه حائراً حينما يقول القرآن الكريم عن رسول الله ﷺ: {دَرَسْتَ} لأنه على يقين أنّ مَن درس قد يتعمّق في ميدان أو اثنين، أما أن يتعمّق في كل الميادين وتنصاع له العبقرية فيها جميعاً على حدٍّ سواء، فهذا أمر خارق للعادة فعلاً.

هذا فضلاً عن كون التجارب العلمية يتم اختبارها في مناطق مختلفة من العالم، وعبر مراحل متعددة من مراحل التاريخ البشري، وهذا لم يكن ليُتاح لامرئ قطّ لا قبل ذلك ولا بعده، مع العلم أنّ اختبار مثل تلك التجارب والنتائج يحتاج إلى آلاف السنين، بمعنى أنه يحتاج إلى تراكمات علمية تنقل تجارب الأمم، وهذا معنى قوله تعالى: {وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ}.

إنّ استخراج سُنن القرآن، أمر لم يتحقّق لأحد وقت نزوله، مما يدلّ على أنّ المدرسة التي درس بها محمد ﷺ هي مدرسة الوحي

وعلى سبيل المثال نجد أنّ التأكد من الترابط الوثيق بين تغيير الواقع وتغيير النفس المخبَر عنه في قوله عز وجل: {إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} [الرعد:١١] يحتاج إلى استقراء الوقائع التاريخية بدقة تسمح باستنتاج قانون عام يُصاغ بهذه الدقة التي تجعله يصدق في كل زمان ومكان(٨).

وكم يحتاج العالم من الوقت لإجراء تجارب تسمح له بصياغة قانون نفسي يبين العلاقة القائمة بين المثير والاستجابة من جهة، وعلاقتهما بالعوامل التي تحول دون ذلك من جهة أخرى، ثم كيف يمكن أن نخلّص موضوع الاستجابة من الحوائل المانعة من ذلك؟ إنّ الله تعالى يصوغ ذلك بقوله: {إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ} [الأنعام:٣٦].

فهناك مؤثر، وهناك استجابة، والمؤثر هو النص الذي يرسله الداعي إلى الله، والاستجابة هي التغير الذي يطرأ في نفسيّة السامع وعقليته، ولكن الاستجابة مشروطة بصفاء النفس والعقل من الموانع التي تحول دون حدوث السماع الحق المؤدي إلى الاستجابة(٩).

إنّ استخراج سُنن وقوانين لها هذه القوة وذلك الإحكام، بحيث تصير صالحة لكل زمان ومكان يتوقف حقّاً على تجارب علمية دقيقة، وهو أمر لم يتحقّق لأحد في ذلك الزمان ولا فيما بعده. ولهذا لم يكن الناس يصدّقون أنّ هذا من عند محمد ﷺ، فكانوا يقولون: (دَرَسْتَ) ولكنهم لم يستطيعوا أن يحدّدوا المدرسة التي درس بها، فأحالهم الله عليها بقوله جل شأنه: {اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق:٣-٥]، أي إنّ المدرسة التي درس بها هي مدرسة الوحي(١٠).

هوامش:

١. السُّنن هي: الطرائق الثابتة التي تجري عليها الشؤون وعلى حَسَبِهَا تكون الآثار، وهي التي تُسمّى «شرائع» أو «نواميس»، ويُعبَّر عنها بـ«القوانين». انظر: (الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية)، محمد عبده، مجلة المنار، ١٦ جمادى الآخرة ١٣٢٠هـ، المجلد الخامس.

٢. انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ١/ ١٧٢-١٧٣.

٣. السنن الإلهية في الأمم والأفراد في القرآن الكريم: أصول وضوابط، مجدي محمد عاشور، ص١٢١-١٢٢.

٤. تفسير المنار، ٤/ ١١٦.

٥. الحق والباطل والقوة، محمد رشيد رضا، مجلة المنار، غرة المحرم ١٣٢٤هـ، المجلد التاسع، ص٥٢.

٦. مدخل إلى القرآن الكريم عرض تاريخي وتحليل مقارن، محمد عبد الله دراز، ص١٧٩.

٧. السنن الإلهية في الأمم والأفراد في القرآن الكريم، ص١٢٢.

٨. السنن الإلهية في الأمم والأفراد في القرآن الكريم، ص١٢٢-١٢٣.

٩. نظريات الإعجاز القرآني، أحمد رحماني، ص١٢٥.

١٠. انظر: نظريات الإعجاز القرآني، أحمد رحماني، ص١٢٦. السنن الإلهية في الأمم والأفراد في القرآن الكريم، ص١٢٤.